تفريد الاله بعل

أ.م.د. مروان نجاح مهدي البلام
جامعة الانبار- كلية التربية للعلوم الإنسانية

المستخلص

تناولت الدراسة البدايات الأولى للإله بعل وكيف تم صعوده اسطوريا، وتنحيته للإله ايل، كما فصلت في البحث محاوله الاله ايل لردع الاله بعل من اجل ان لا يتفرد في الكون فأعوز الى ابنه يم ومن ثم موت من اجل تحجيمه

كما استعرضت موقف زوجته عنان التي كانت العامل الثاني للخصوبة وكيف وقفت مع زوجها في أوقات الشدة ولم تتخلى عنه ، رغم انها كانت اقوى منه كما يظهر في متن البحث، الا ان الفضل بأجمعه نسب له.

وأخيرا اصبح بعل ذلك كبير الاله ومفردا دون غيره، لاسيما ان اقوى الهين هما الاله القديم ايل والاله موت الذين لم يستطيع احد ان يقف امامها قد انتصر عليها بعل، وهو غاية ما كانت تطمحا اليه الاقوام الزراعية التي استقرت في تلك المناطق الزراعية.

الكلمات المفتاحية: بعل، تفريد، اساطير، بعل ، اختلاف التفريد عن التوحيد، صراع الالهة..

Singularity of god baal

A.Pr.Dr.Marwan Najah Mahdi AL_Balam
University of Anbar – College of Education for Humanities
Najahmarwan1976@gamile.com

Abstract

In this study, I dealt with the first beginnings of the god Baal and how he was mythically ascended to the god El, and also detailed in the research the attempt of the god El to deter the god Baal in order not to be unique in the universe, so he wanted his son Yam and then died in order to reduce him

It also reviewed the position of his wife Anan, who was the second factor in fertility and how she stood with her husband in times of distress and did not abandon him, although she was stronger than him as appears in the text of the research, but all credit is attributed to him

Finally, Baal became the chief deity and singular from the rest, especially since the two strongest of the two are the ancient god El and the god Mut, whom no one could stand in front of.

Keywords: Baal, individuation, myths, Baal, the difference of individuation from monotheism, the struggle of the gods.

المقدمة

تمر الشعوب عبر تاريخها بأحداث تاريخية مهمة ، وقد تكون هذه الشعوب غير مدركة لهذه الاحداث الجسام فتحاول ان تعبر عنها عن طريق شعورها الباطن او اللاواعي، فتسبغ هذه التطورات عن طريق صهرها في اساطير تعبر عن تلك الكينونات التاريخية التي عصفت بها بطريقه تتناسب مع مفهوما الثقافي.

لذلك كانت التحولات التي مرت على الاقوام الجزرية (السامية) التي استوطنت في العراق القديم وسوريا القديمة، مؤثره عليها، اذا اثرت وتأثرت بالوقائع الجغرافية والوقائع

الابتسلوموجيا المعرفية والتطورات الفكرية، فكان تعبيرها عن تلك التغيرات بواسطة ابسط الطرق وهي الاساطير.

ومن هنا ابدعت تلك الاقوام في نقل هذه المفاهيم الحضارية عن طريق تسطيرها كصراع وتنافس بين قوى كونية هي الالهة، وكما كان يحدث في الأرض ينقل الى السماء، وكما كان الخوف من الجفاف والموت ، اصبح هو هاجس الاله والصراع الدائر بينهم.

فكان سبب اختيار الموضوع هو التنقلات التاريخية لدى الاقوام الجزرية (السامية)، اذ ان الباحث قد وجد مشكلة قد حاول ان يحللها الى عواملها الأولية ويرفع عنها الزبد ، كما يقول الفيلسوف ديكارت، اذ كانت المشكلة تنحي الاله ايل وصعود الاله بعل، وليس هذا فقط، بل محاولات تلك الاقوام البدائية في تفريد١ الاله بعل وجعله هو الاله الرئيس، للبانثيون الإلهي الجزري (السامي) ، وان تكون بقية الاله هي مجرد اتباع او خاضعين له.

وان لم ترقى تلك المجتمعات الى فكره توحيد الاله ، وانما كانت هي بدايات محاولات التوحيد او التفريد، وذلك من خلال طريقين الأولى جعل الاله بعل كبير الاله، والثانية دمج اسم الاله بعل مع جميع الاله.

لذلك راينا في الاساطير التي تناولت علاقاتها مع ايل وصراعه مع الاله يم وبناءه لقصره وصراعه مع الافعى لويثان ومن ثم صراعه مع الاله موت ، كيف حاولت تلك الشعوب ان تجد لها حيزا للخروج من تعدد الالهة وصولا الى تفريد اله أولا، وثانيا اعتباره اكبر الاله ومن ثم المحاولة في اعتقادي من اجل الوحدانية المطلقة.

وحاولت في دراستي هذه ان اتناول الجوانب التاريخية والنفسية والجغرافية لدى هذه الاقوام وكيف انعكست على الاحداث التاريخية على شكل اساطير كانت الالهة هي اللاعب الأساسي بها، فتنقلت من اسطورة الى أخرى محاولا كشف المستور بها وموضحا الخفايا التي يمكن للمؤرخ ان يتناولها ويفك عقدتها ويوضح حلها، وكما قال الامام الشافعي رحمه الله "رأي صواب يحتمل الخطأ وراي غير خطا يحتمل الصواب"، كان هذا اجتهادي الشخصي ووجهة نظري في معالجة الاساطير.

فتناولت في هذه الدراسة البدايات الأولى للإله بعل وكيف تم صعوده اسطوريا، وتنحيته للإله ايل، كما فصلت في البحث محاوله الاله ايل لردع الاله بعل من اجل ان لا يتفرد في الكون فاعوز الى ابنه يم ومن ثم موت من اجل تحجيمه.

كما استعرضت موقف زوجته عنان التي كانت العامل الثاني للخصوبة وكيف وقفت مع زوجها في أوقات الشدة ولم تتخلى عنه ، رغم انها كانت اقوى منه كما يظهر في متون البحث الا ان الفضل بأجمعه نسب له.

وأخيرا اصبح بعل ذلك كبير الاله ومفردا دون عن البقيه، لاسيما ان اقوى الهين هما الاله القديم ايل والاله موت الذين لم يستطيع احد ان يقف امامها قد انتصر عليها بعل، وهو غاية ما كانت تطمحا اليه الاقوام الزراعية التي استقرت في تلك المناطق الزراعية.

ومن الله التوفيق.

الاساطير المؤسسة لتفريد الاله بعل

مدخل

الاسطورة ليست بدعة ولا وهما ولا تهيؤات من صنع الخيال اما خلط الاسطورة بالبدع والوهم والخيال فتقع فيه جميع مناهج البحث العلمية المطبقة على المثولوجيا وهو خلط يجب التخلص منه كخطوة اولى في مسار البحث٢، ويجب ان نتصور ان العالم الذي نعيش فيه هو عالم اسطوري وان كل ما فيه ليس الا اساطير وان الوعي الاسطوري يتعامل مع الاسطورة وعرضها كأسطورة٣، فالأسطورة تختلف هنا عن الخرافة ان بها شيء من الوقائع من خلال ان الشعوب التي تبث افكارها ومشاعرها في الاساطير ، هي تعبر بطريقة لا شعورية عن رغبتها فيما تريده من الميتافيزقيا، فتوظف الاساطير لدى مكنونات هذه الشعوب بطريقة ايحائية في التغيرات والتبدلات التي تسير الكون.

ومما يسترعي الانتباه ان الالهة الجزرية القديمة ذات طبع غير محدد او ثابت فالإلهة الكنعانية كثيرا ما تبدل صفاتها ووظائفها وصلاتها بل جنسها ايضا حتى ليصب احينا ان نعرف طبيعة حقيقتها وصلاتها بعضها البعض وهذا يرجع من ناحية انعدام الوحدة بين الكنعانيين ومن ناحية اخرى الى انه لم يكن ثمة طبقة من الكهان منظمة تنظيما كافيا تستطيع تنظيم الدين كما في ارض الرافدين٤، اذ كانت الهة المجتمعات الجزرية (السامية) على اختلافها تشارك في العداوات الموروثة لدى اتباعهم لذا كان من المستحيل على الفرد ان يغير ديانته دون تغير قومتيه كما لم يكن من الممكن لمجتمع بأكمله ان يغير ديانته دون ان يذوب في جنس او شعب اخر... لذا كان الاندماج الاجتماعي بين مجتمعين يؤدي الى اندماج ديني مواز اذ يندمج الهان ليصبحا الها واحدا... ومما ييسر هذه العملية التشابه الشديد في الصفات التي كانت تنسب الى مختلف الالهة المحلية او القبلية والتطابق في الالقاب القدسية فلم يكن ثم فارق بين بعل واخر الا من حيث ارتباطه بعشيرة ما او بمكان ما اذ ان اندماج العشائر او التعايش بينهما يؤدي الى عدم استقلا الهتهما او كان يتم دمج الالهة على اختلافها نتيجة اندماج اتباعها في دولة واحدة كان تميز الالهة اكبر من يفقدها تفردها واستقلالها فاستمرت تعبد جنبا الى جنب في تحالف قوى الهية٥، وهي التفاته صادقة من قبل الباحث في تناوله للصراع الداخلي بين المجتمع الكنعاني من جهة ، ومن جهة أخرى الهجرات الآرامية التي امتزجت مع الاقوام الكنعانية والامورية في سوريا القديمة

كما انه ليس في اساطير بعل وحدة موضوعية كبيرة فهي اقرب ما تكون سلسلة من القصص تربط بينها وحدة ابطالها وتعتمد على دورة الفصول فبعل هو اله المطر والخصب ويحكم من سبتمبر الى مايو وموت يحكم في الصيف ولكن يطرد مرة اخرى بقدوم الخريف٦، وهذا ما سنتطرق اليه في تناولنا اساطير بعل ولماذا اصبح الاله بعل مميزا دون بقية الإلهة.

أولا:الأسطورة الأولى علاقة الاله بعل مع الاله ايل

كان ظهور بعل وانتصاره وتحوله الى اله قومي وانحسار الاله ايل شيئا فشيئا وعزله مدعاة لتحويل كل الالهة ومظاهر الحياة الى شكل من اشكال البعل ونشاطاته٧،فقد انتزع بعل لقب الثور من ابيه بعد ان احتل عرشه وذلك ان بعل خطط للهجوم على ايل وانتزع العرش منه٨،

ويعتقد معدي ان عزلة الاله ايل في اواخر ايامه ادت الى ظهور ابنه القوي الالهة بعل الذي سيحتل مكانه في ادارة الكون ويأخذ منزلته٩،لا سيما ان ظهور الاله الابن بعل الشاب كند للاب الشيخ ساكن السماء ، اذ نافست القوة الفاعلة الحركية القوة المجردة الكونية وظهر بعل ندا بمعنى مختلف ومفهوم جديد فعظمته ليست مستمدة من قدرة الخلق لان بعل ليس على مستوى الخلق وان سلطته ليست مستمدة من سلطانه على الناس والطبيعة والالهة ولا من بعده عن ذلك الانسان الصغير وهمومه اليومية بل ان عظمته في ضعفه وقربه لعواطف الانسان وانفعالاته ومشاركته للبشر وآلامهم ومصيرهم المحزن ومحاولته تقديم الخلاص لهم وعظمته ليست في خلوده بل في قهره سلطان الموت وانبعاثه من جديد قوة شابة، ولكن رغم ذلك ان تصاعد قوة الابن وتزايدها لم يلغ من قوة الاب وبقيت ديانات السماء وديانات الخصب في تصارع ، اذ ١٠ كان بعل اقوى الالهة واكثرهم قربا لقلوب العباد رغم بقاء ايل اله السماء الها اكبر لكن بالاسم فقط١١.

فمن الواضح ان هذا التغير الإلهي الذي حدث بانتقال صفات ومنزلة الاله ايل الى ابنه الاله بعل كان امرا طبيعيا في تلك الحقبة، اذا ان هذه الانتقال الطوعي من الاله ايل الى الاله بعل والاحتفاظ بمنزلة معنوية للإله ايل ، وتنازله السلمي للإله بعل عن مكانته تدل على دخول اقوام وأفكار جديدة للمنطقة واستقرارهم فيها ، ومن الممكن القول ان هذه الاقوام هي الاقوام الآرامية، ولكونهم أقرباء للأقوام الاموريه، فقد حدث التنازل السلمي هنا من قبل

الاموريين الى الأراميين ، ولا سيما ان مرحلة التحول هذه في تبادل الأمكنة من قبل الالهة كانت في مرحلة الهجرات الآرامية الى بلاد الشام وبلاد الرافدين ، أي في بداية الالف الأول قبل الميلاد.

ثانيا: اسطورة الاله بعل والاله يم

لم يقبل الاله ايل ان يتنازل عن مكانته السابقة، الى ابنه الاله بعل كما ان الاله يم لم يرضى ان يكون اخاه الاله بعل هو كبير الاله ، لذلك قرر الاله يم وبدعم من الاله ايل ان يقضي على الاله بعل ، لذلك يرسل رسله الى مجلس الاله طالبا منهم ان يسلموا به الاله بعل، وكما يظهر من الأسطورة الان الايل ايل والمجلس كان موافقا على ذلك.

فيسارع الاله يم بإرسال رسالة الى الالهة المجتمعة برئاسة ايل ليحضروا له بعل ويوافق مجلس الالهة على تسليم بعل الذي يثور ويزمجر" ايل فحل ابيه يجيب بعل عبدك يا يم بعل عبدك الى الابد ابن داجون رفيقك سوف يحمل تكريمك كالإلهة نعم يحمل قرابينك كأبناء القداسة"١٢ويجد الاله بعل الخيانة من ابيه ايل المبجل ، غير انه يندفع في غضب " وفي يده سكينا –اي بعل– سكين جزار في يمينه ليذبخ الرسل"١٣،لكن الالهتان عناة وعشرتي يمنعانه عن ذلك١٤، ويظهر غضب بعل في ردة فعله حتى انه قرر ان يقتل الرسل الذين تجرؤا على ان يطلبوا من المجلس ان يسلم بعل، اذ كان يم اخا وابنا للإلهتين، فضلا عن ذلك ان مسالة قتل الرسل كانت غير مستحبة في المفاهيم القديمة اذا لم يكن الرسل الا أصحاب رسالة من قبل شخص وليس لهم علاقة بمضمون الرسالة مهما كانت.

ليس هذا فحسب بل قرر بعل ان ينتقم لنفسه من أخيه فيقرر القضاء على الاله يم بان يهاجمه ويقتله ، "تنقض العصا من يد بعل كالصقر من اصابعه فتضرب منكبي الامير يم بين يدي النهر القاضي ... فتضرب راس الامير بين عيني النهر القاضي فيترنح ويسقط على الارض" وهكذا يقتل بعل يم ويتنزع منه ملكية الالهة التي كاد يأخذها من ايل ويحرمه منها وكان يم مقربا من ايل وتصفه النصوص ب حبيب ايل اذ كان يعده الاله ايل لمواجهة بعل١٥،وبذلك يكون انتصار بعل خذلانا لايل وتنحيا منه لملوكية الالهة الى بعل وهذا يعني انه لم يقتل ايل كما فعل هو مع ابيه بل كان هناك تنازل عن العرش١٦

ومن الواضح ان قتل الاله يم وهو اله العماء والمياه المالحة في صراعه مع اله الخصب والامطار كان يعد انتصارا للمجتمع الزراعي وانتصارا للحضارة والمدنية في صراعها

مع مظاهر الطبيعة ، اذا ان بعل هو اله الاخصب والزراعة والحياه، ومن جانب اخر كان انتصار بعل يعني انه اصبح الاله الرئيس الذي ليس له منافس الا الاله موت وهذا ما سندركه لاحقا وأسباب هذا الصراع وما الت اليه نتائجه.

ثالثا: بعل وعناة وبناء القصر

وبعد هذه الانتصارات التي حققها بعل لم يبقى له الا بناء القصر أي الاستقرار والديمومة، وكما هو واضح ان هذه الاساطير تصور بصورة رائعة التحولات التي مرت على المجتمعات الزراعية التي استقرت في سوريا، ولذلك قرر بعل ان يرسل الى اخته وحبيبته عناة ان تقدم عنده من اجل ان يكشف لها سر الطبيعة .

فيبعث بعل برسالة الى عناة يخبرها انه سيكشف لها سر الطبيعة "الي دعي اقدامك تسابق الي دعي ارجلك تسرع لان عندي كلمة بها كلمة الشجرة وهمس الحجر وصوت السموات والاعماق للنجوم ان افهم البرق الذي لا تعرفه السموات والكلمة التي لا يعرفها الرجال تعالي وسوف اكشفها لك في وسط جبلي الاله صفون في المحراب في جبل ميراثي في المكان الطيب على تل القوة"١٧.

الهدف المقصود بسر الطبيعة هنا هي الممارسة الجنسية بين الذكر والانثى، اذا ان هذه الممارسة تكشف سر الخلق بأنشاء كائن جديد من خلال الحمل، كما ان الجنس والخصب في المجتمعات القديمة مرتبط احدهما بالأخر ، وحتى الوقت الحاضر تعد الخصوبة احدى صفات الممارسة الجنسية.

لكن هل تقبل عناه في زيارة بعل ، وكما موضح من الأسطورة انها في بداية الامر ترددت ، لكنها عندما تذكرت انتصارات بعل وبكونه اصبح كبير الاله، فضلا عن مساندتها الشخصية له، كما يظهر لنا ان الغرور والقوة الاتي كانت من صفات عناة ، فضلا عن رغبتها في معرفة سر الحياة والممارسة الجنسية هذه كانت الدوافع التي جعلتها تقبل بان تزوره.

ووجدت اسطورة واحدة تظهر مساندة الالهة عناة الى الاله بعل وهي اسطورة ملك الذباب، وصراعه مع ايل زبوب وهو اله الامراض الذي انتصر بعل عليه بمساعدة عناة ودمروا بيته١٨، لكن الاحمد يذكر انه بعل زبوب ويصفه بانه رب الذباب وسمي ايضا بعل زبول اي رب القاذورات وقصد به الشيطان١٩، لكن عبودي يعتقد ان بعل زباب هو الذي

بدل اليهود اسم هذا الاله وجعلوه بعل زبول اي بعل الاقدار وذلك بسبب احتقارهم لإلهة الكنعانيين٢٠، ومهما يكن من امر ان مساندة الالهة عناة لبعل في قضاءه على الهه الذباب سواء كان هو اله الذباب او الشيطان وهو الأرجح للصواب من وجهة نظري هو الذي دفع الالهة عناة للموافقة على مقابلة الاله بعل وتلبية رغبته.

لكن عندما تذكر انتصاراتها على اعداء بعل ومؤزرتها له تقبل الدعوة وتتوجه الى جبل صفون٢١ مقر بعل وعند وصولها يكرمها بعل بثور مشوي وذبح سمين وتغتسل بندى السماء ودهن الارض ثم يكشف لها سر الطبيعة الذي لا يعتمد على الاضاحي البشري بشكل شعائري مباشر يدعوها بعل الى الكشف عن سر الطبيعة سلما وعن قوتها المخصبة وذلك عن طريق الجنس الذي يشكل نمطا معرفيا طبيعيا في العالم القديم٢٢، ويطلب منها ان تتوسط له عند ايل ابهما من اجل ان يبني لبعل قصرا الذي لايزال يسكن في جبل صفوان ولكنه يحتاج الى بناء قصر له ليتناسب مع مكانته ويساويه مع بقيه الالهه٢٣.

وتظهر الأسطورة أعلاه ان غرض بعل محدد بهدفين الأول هو الخصوبة عن طريق الممارسة الحميمة بينه وبين عناة، والثانية هي تكليفه لعناة ان تطلب من ايل ان يتوسط لبعل ان يبني قصرا له لان مكانته الحالية وكونه كبير الاله يتطلب منه ان يكون له قصرا مساويا او اكبر من بقيه الاله.

لكن السؤال المثير للجدل والمطروح على طاولة العرض؟ لماذا يطلب من عناة ان تتوسط له عند ابيه وهو قد اصبح كبير الاله وقاتل أخيه يم؟ ولماذا لم يطلب هو شخصيا ذلك من والده ايل او يتجاوز والده ويقوم في البناء بنفسه؟

واعتقد ان الأسباب وراء ذلك تعود الى عدة عوامل:-

١- العامل الأول يبدو ان الامر كان القصد منه الزواج ولكون ايل والدهما فلم يستطيع ان يتجاوزه في ذلك، ومن اجل ان يقيم عائله وأطفال.

٢- العامل الثاني ان ايل بقى لديه منزلة رفيعة وبقى هو كبير الاله من الناحية النفسية، وكون ان بعل ابنه لا يستطيع ان يتجاوز والده خوفا في ان يرفض مما يؤدي الى حدوث مواجهة بين الاثنين.

٣- العامل الثالث ان عناه اخته والتي ستصبح زوجته كان من صفاتها العصبية وحدة الطبع والقوة الكبيرة عندما تجتاحها العصبية-كما سنرى لاحقا في اسطورة بعل وموت- وان ايل لا يستطيع ان يرفض لها طالبا.

وتستجيب عناة لبعل وتذهب الى ايل عند النهرين لكنه لا يستجب لها فتهدده بعنف فيختبئ في اقصى غرفة الداخلية خوفا من ابنته الوحشية ٢٤مخاطبتا اياه: "ان كلمتك يا ايل حكيمة وحكمتك الى الابد الحياة السعيدة كلمتك قاضينا الذي لا احد ملكنا عليان بعل قاضينا الذي لا احد فوقه هناك تصيح عشيرة وابناؤها الالهة والجماعة من اقربائها بعل ليس له بيت ولا بلاط كأبناء عشيرة" فيذعن ايل لمطاليب الالهة ويأذن ببناء قصر لبعل٢٥، وهكذا يحقق بعل غايته عن طريق اخته، ويقنع والده ان يتم بناء القصر له، فتبدا الاستعدادات من اجل البناء، ويبدو ان الاله ايل لا يزال ممتعضا من المكانة التي حضي بها الاله بعل وانه اصبح كبير الاله ، لذلك كان على شيئ من التردد في اجابه كل طلبات بعل.

ويبدا البناء "حتى تأتيك الجبال بالفضة الكثيرة والتلال بأحسن الذهب وتبني بيتا من الفضة والذهب بيتا من اللازورد"٢٦، ويبدا بناء القصر على يد الاله كوثر٢٧ على طراز القصر ذي النافذة لكن بعل يرفض فتح نافذة خوفا من الاله المقتول يم ودخوله من النافذة حرصا منه تعريض بناته لأجنبي يطمع فيهن٢٨، والحقيقة ان هذا الامر كان من الصعب تأوليه ان سبب عدم وجود نافذه يبدو غريبا لان عذر ايل كان غير واقعي لان الاله بعل هو من قتل يم، وفي هذه الحالة يبدو ان الاله لا تموت نهائيا لذلك بعل كان خائفا رغم انه وكما يظهر كان معتدا بنفسه ولم يكن يخاف من يم، الامر الاخر ان خوفه على بناته ان يطمع فيهم اجنبي كذلك تبدو من الناحية العملية غير واقعية لان بعل هو الها قويا مهيبا لا اعتقد ان أحدا قادرا على مواجهته، لذلك لم يبقى الا سبب واحد كما اظن وهو الاله موت وخوفه منه او من مواجهته كما سنرى لاحقا!

اما من ناحية التفسير الجغرافي لبناء البيوت في الشرق الأدنى، فان النوافذ الكثيرة ، غير مرغوبة في بناء البيوت سابقا ، وذلك بسبب العامل الجغرافي والبيئي، اذ ان النوافذ هي التي تدخل الاتربة والحشرات والحرارة الى داخل المنزل، لان الأبواب كان يمكن السيطرة عليها من خلال كونها منخفضة ، فضلا عن وجود ساتر او ما نطلق علية اسم (البردة) في اللهجة العراقية.

وبعد الانتهاء من بناء القصر يدعو بعل اصدقاءه الى مأدبة ويحضر ابناء عشيرة السبعون والهة الحيوات والاشياء الشخصية "سقى بعل الاكباش من الالهة نبيذا وسقى الشياه الالهة نبيذا وسقى العجول من الإلهة نبيذا وسقى الكراسي من الالهة نبيذا وسقى العروش من الالهات نبيذا وسقى الجرار من الالهات نبيذا "٢٩، وهي عادة متبعه لدى الاقوام الجزرية (السامية) بان يقيموا مأدبة طعام بعد الانتهاء من بناء البيت من اجل الفرح ومكاشفة الأقارب بهذا الإنجاز لان بناء البيت هي غاية يتمنها الانسان لان البيت هو الوطن.

وبعد ان يبني بعل قصره يستولي على ٩٠ مدينة وهو ما يجعله يزداد ثقة بنفسه وامانا من حوله٣٠، فيأمر كوثر بفتح نافذة في القصر فيذكره كوثر بان رايه كان هذا منذ البداية ولعل وظيفة النافذة هنا والاطار وسط القصر على ارتباط بوظيفة بعل الطقسية السماوية حيث يفتح بعل طاقات السماء٣١، كما ان النافذة مهما تكن هي ضرورية للبيت من اجل التهوية والتبريد والانارة، ولعل من الأسباب الأخرى إضافة الى الثقة بالنفس ان الاله بعل او الأسطورة التي تناولته هي تعبير عن رؤى القوم الذين استقروا في بيوت غير ذات نوافذ وبعد استقرارهم بها، غيروا فكرهم كما غيرها الاله بعل بعدما اكتشفوا أهميتها، وهو تطور واضح من الناحية النفسية لدى الاله بعل في انه اصبح كبير الالهة

رابعا: الاله بعل وصراعه مع قوى العالم السفلي

هذه الاساطير تفسر الغياب المؤقت لبعل عن وجه الارض وربما تبرر فترات الجفاف القصيرة والانحباس المؤقت للمطر اثناء فترات الخصوبة٣٢، وهي من حيث التفسير هي عادت المجتمع الزراعي لان وكما هو معلوم لان المجتمعات الزراعية وبالذات في سوريا تعتمد على المطر في الزراع وليس على الأنهار، عكس ما هو موجود في العراق القديم الذي يعتمد على النهرين والروافد في الزراعة لذلك لم تكن عنده عقدة المطر او غيابه، بقدر مشكلته مع الفيضانات

ويبدأ صراع الاله بعل مع اخر محاولات الاله ايل من اجل تحجيم قوة ولده الصاعدة ، وهي محاولة تعطيله عن انجاز وظيفته الرئيسية وهي الخصوبة سواء كانت الخصوبة الجنسية او الخصوبة الزراعية، وهو صراع بعل مع المواشي المتوحشة (اكليم) و(عقيم) الذين خلقهما ايل وهي تشبه الثيران والجواميس اذ يقرر بعل ان يصطادهما لكنه يصطدم بهما فتصرعه ويسقط في الاوحال فتنتابه الحمى التي تهد جسده لمدة سبعة او ثمانية ويبدو ان هذا

العقاب قد حصل بسبب لن بعل ارتكب خطيئة ما (لأنه يحمل دم اخيه في رقبته مثل الثوب الذي يرتديه مثل ثوب دم عشيرته) ويعثر بعدها على بعل المفقود وتقام له الطقوس والتعاويذ على الماء وتفسر الاسطورة غياب بعل وجفاف الأرض المؤقت٣٣، وهذه الاسطورة هي الاقرب الى اسطورة ادونيس حيث يقتل الخنزير الاله ادونيس ويمكن ان تكون هذه الاسطورة هي اصل اسطورة ادونيس لانها الاقدم حيث يستبدل بعل بادونيس خصوصا ان كليهما اسمه السيد٣٤

ومن نافلة القول ان هذه الأسطورة تظهر ان للإله ايل لا تزال لديه بعض القوة اذ انه يستطيع ان يعطل قوى الخصب لدى الاله بعل وان كان لفترة محدودة، كما تظهر عدم رضاه الكامل عن قتل ابنه الاله يم من قبل الاله بعل، فضلا عن ذلك تعطي تفسيرا لبعض حالات الجفاف المؤقت التي تحدث في المجتمعات الزراعية في سوريا.

ليس هذا فحسب بل يبدا بعل بعد شفاءه من صراعه مع المواشي المتوحشة في صراعه الأكبر مع الافاعي التي هي تمثل رمز وكينونة الاله موت ، ويبدا صراع بعل مع القوى الشريرة التي تحاول ان تقضي عليه ، لكنها لا تنجح في ذلك الا انها تعطل قوى الاله بعل في الخصوبة لفترة محدودة الى حين القضاء عليها، اما لماذا تم اختيار الافعى ذات الرؤوس السبعة ، وكما هو معروف ان الافعى هي من الحيوانات التي كان الفلاح يخشاها بسبب كونها تعيش في الحقول وان سمها قد يؤدي الى الموت ، وان رؤوسها السبع هي لان الرقم سبعه هو رقم مقدس في الديانات الجزرية فلذلك كانت الافعى امتازت بكونها مقدسها من كونها تصطاد الفئران المؤذية وان في بعض أنواع سمها شفاء لكنها في ذاته الوقت هي حيوان مؤذي للفلاح لان تسبب له الكثير من المشاكل والامراض والخوف.

فيبدا الصراع مع الافعى لويثان او مع الحية لوتان ذات الرؤوس السبعة وقتله لها هو صراع دائم بين قوى الخير والحياة٣٥، يشابه صراع بعل مع لوياثان التنين الذي له سبع رؤوس وهو يشابه التنين العبري٣٦، وصراعه مع شاليط الافعى ذات الرؤوس السبعة وهي تشبه لتن او لوياثان٣٧، ويظهر ان موت يثور لموت لوتان فيرسل له قائلا "لأنك قتلت لوتان الحية الشريرة لأنك سحقت الحية الخبيثة العظيمة ذات الرؤوس السبعة سوف اقتلك"٣٨، ويعتقد السواح ان الاله موت هو من حرض القوى الشريرة التي تنتمي الى عالم العماء المائي

الذي انقضى بزوال مملكة يم فيخرج التنين لوتان ذو الرؤوس السبعة لصراع بعل ولكن بعل يقضي عليه٣٩

ما الذي يمكن استنتاجه من هذه الأسطورة! ان الاله موت وبعد السيطرة غير المتناهية التي اصبح عليها الاله بعل وان سيد الاله ، وقتله لآخوهم الاخر الاله يم لم يبقى امام الاله بعل الا الاله موت ليصبح سيد العلمين الحياه والموت بدون منازع لذلك كان الاله موت سباقا في التحدي من اجل القضاء او تعطيل قدرة الاله بعل في ان يكون السيد او الرئيس على العامين بدون منازع، كما ان الاله موت كان مقدرا او مدفوعا من قبل ابيه الاله ايل ان يوقف طموحات أخيه في ان يكون السيد والاه المتفرد ذو القوى دون بقية الالهة ، لذلك سارع الى تحديه قبل ان يبلغ من القوة بحيث انه لا يستطيع ان يوقفه او يحد من سلطته.

ولا ننسى هنا ان مواسم الجفاف الطويلة التي تستمر لأكثر من سبع سنوات وانحباس مياه الامطار عن المزارعين كان لا بد لها من تفسير اسطوري يحلل هذا الموقف ولم يكن امام المزارع الا ان يستنبط صراع الهيا يؤدي الى هذا الموقف وتوقف نزول المول لفترات طويله الا بالصراع بين غرماء أقوياء متساوين بالقوة على الرغم من ذلك الا ان الخير او الخصوبة سوف تنتصر في الاخر.

اسطورة الاله بعل والاله موت (اسطورة الغياب)

لا ريب ان انتصار بعل المذهل على الاله يم وعلى الافعى لوثيان قد منحه القوة على ان يزداد اقتناعا بقوته لذلك يأمر بعمل المزيد من النوافذ في قصره، لكن ذلك لم يكن بدون عقوبة او مجازفة، اذ ان الاله موت حالما سمع ان بعل قد اوعز بعمل النوافذ وقتله الافعى لوثيان يبدا بتهديد بعل موجها خطابا قويا ومهددا بعل بالموت والدما والطاعة.

اذ بعد بناء بعل لقصره وبعد ان يفتح نافذه في قصره تظهر النذر الكارثية بسقوط المطر وظهور الرعد والعواصف فيظهر صوت الاله موت اله العالم السفلي "انا وحدي الذي سيحكم الالهة بل ويقود الالهة والناس ويسيطر على شعوب الارض" ويخاف بعل من تهديدات موت ويرسل رسوليه للتفاوض مع موت٤٠ .

ان قتل بعل الافعى لوثيان بسببها اراد موت الانتقام من بعل جراء ذلك "الان وقد قتلت الافعى لوثيان الان وقد سحقت راس التنين الان وقد قضيت على الحية الملتوية الحية

الملعونة ذات الرؤوس السبعة الان وقد ضمتك السماء بهالة من المجد تذكر أيها الظافر البعل اني اله الموت ابقيت عليك لم ادخلك في شدقي...ماذا يمنعك سحقت لوثيان حطمت راس التنين قتلت الحية الملتوية ذات الرؤوس السبعة تعال أيها البعل تذكر اني ابقيت عليك فلم ادخلك شدقي لم ابتلعك لم انزلك الى حفرتي"٤١.

وكما هو واضح ان الاله بعل قد خاف من تهديد الاله موت، لذلك يسارع الى ارسال مبعوثيه من اجل ترضيه الاله موت، وتظهر من خلال هذه الأسطورة قوة الاله موت وانه اله غير خاضع لاي قوة ، كما يبدو ان الاله موت في اعتقاد المجتمعات القديمة اله لا يهاب أحدا وانه ليس هناك بشرا او الها قادرا على مواجهته حتى الاله بعل رغم قوته، كما تظهر ان يد الاله ايل الخفية في مساندته للإله موت وعدم رضاه على سيطرة الاله بعل على السيطرة الكونية، فضلا عن ذلك تظهر الأسطورة ان الاله موت قد تحجج بموت الافعى لويثان لمنازله الاله بعل وخوفه من ان يكون الاله بعل هو سيد الاله.

ويبدأ الاله بعل في ترضية الاله موت فيرسل اليه وفدا من قبله محذرا وفده من التقرب من الاله بعل حتى لا يبلعهم، فيبعث بعل برساله الى موت "قوما برفع الجبل على ايديكم ... توجها شطر مدينة موت ... ولا تقربا كثيرا من الاله موت حتى لا يجعلكما الى فمه كما الحمل ويسحقكما بين فكيه كما الولد الصغير ...وعلى قدمي موت قعا واركعا اسجدا له وعظماه وقولا للإله موت اعلنا للبطل حبيب ايل رساله عليان بعل"٤٢.

فكان شكل الاله موت كما صورته الأسطورة كالتالي "فشفه الاله موت في الارض وشفه في السماء واللسان بين النجوم ليدخل بعل في اعماق جوفها هابطا اليه من فمه فتجف اشجار الزيتون وكل منتجات الارض وثمار جميع الاشجار خاف عليان بعل منه وارتجف نعم لقد فزع منه راكب الغيوم اذهبا وقولا للإله موت اعلنا للبطل حبيب الاله ايل رسالة بعل العلي وكلمة علي المحارب تحية لك يا موت الاله عبدك انا سأكون نعم عبد لك الى الابد"٤٣.

وتؤكد متون الرسالة طاعته للإله موته وقبول الاله بعل بحكمه وعلنا ولائه له ،غير ان الاله موت لم يقبل الا بان يحضر الاله بعل ، وليس هذا فحسب بل يحضر مع ابنته واتباعه ذاعنا لطلب الاله موت ومنفذا جميع أوامره.

"عليك ان تأخذ معك غيومك ورياحك وعواصفك وامطارك وتأخذ معك اتباعك السبعة وخنازيرك الثمانية ومعك ايضا بدرية ابنة النور ومعك طلية ابنة المطر ثم توجه شطر

جبل كنكيني فارفع الجبل على يديك والتل على اعالي رؤوس النخيل واهبط الى اقاصي الارض العميقة حتى تصبح مع من غادر هذه الأرض"٤٤.

ومن اللافت للنظر ان بعل وافق على طلب موت "لقد خشيه عليان بعل لقد خافه راكب السحاب وعاد الكلام الى الاله موت ونقلت الى البطل حبيب ايل رسالة عليان بعل جواب المحارب الشديد يا ايها الاله موت انني عبدك بل لك الى الابد" وهكذا ينزل بعل مع مرافقيه من رياح وامطار ويبدو ان موت ينتصر عليه ويحمل الرسل الخبر الى ايل الذي ينزل عن عرشه ويتشح بثوب خاص للحداد"٤٥.

اما ماهي الاسباب التي دعت الاله موت الى تحدي بعل فيمكن ارجاعها الى عاملين:

١- ان استقرار بعل في قصره مع زوجته وبناته الثلاث مجلجلا بصوته باثا الرعب في قلوب اعدائه ليعلن بعل انه لن يدفع الجزية بعد الان الى الاله موت٤٦، لكن الباحث لم يجد في الاساطير انه الاله بعل كان يدفع الجزية للإله موت، ولم يبن المعدي من اين جاء بهذه المعلومة، وما هي مصادره، لذلك يمكن القول ان هذا السبب واه وليس من الدقة بمكان.

٢- السبب الثاني ان انتصار بعل على لوياثان ذي الرؤوس السبعة ادت الى شعور موت بان الهة العالم الاسفل سينقرضون اذا ظل بعل ينتصر عليهم وانه لا بد من وضع حد له وانزاله الى العالم السفلي٤٧، ان مناقشه هذا الراي بعيد عن الصحة لأنه وكما هو واضح ان الافعى لويثان كانت اقل منزله من الاله بعل وان الاله موت اتخذ مسالة الافعى حجة من اجل التحرش بالإله بعل وتحديه، لان الاله بعل لم يكن حسب ما يظهر انه كان طامعا في تولي مكانة الاله موت، الامر الاخر انه ما عدا ان بعل قد اتخذ مكانة الاله ايل لم يكن من الاله العدوانية التي تبدأ في الصراع او التحرش ، لاسيما بعدما رأيناه من تحدي الاله يم له وكيف تصده بعل له.

لذلك من نافلة القول واعتقادي الشخصي ان مسالة الخصوبة والموت كانت نتيجة للصراع البشري مع الموت ، اذا ان انحسار المطر او التعرض للعواصف او فقدان الخصوبة

للأرض، فضلا عن خوف الانسان الطبيعي من الموت كانت هي الدافع التي جعلت الاقوام التي استقرت في سوريا تتوجه فلسفيا بهذا الاتجاه، لان فكرة انعدام الخصوبة والموت هي كانت المحرك الأساسي ، لذلك تم التحدي من قبل الاله موت من اجل تبرير مسالة سنوات الجفاف ومسالة الموت التي لا ينجو منها أحدا، والامر الاخر ان هذا الصراع المستمر بين الاله الكبار هو دعوة من قبل الاقوام الجزرية (السامية) من اجل تفريد الاله بعل.

فانتصر الاله موت على بعل، وغيبه في المجهول، "مات بعل العلي هلك الامير سيد الارض فقام لطبان (من اسماء ايل) اله الرحمة وتهاوى على مسند القدمين ومنه خر واقعا على الارض واخذ يحثو التراب على رأسه ويمرغ نفسه في الاديم صارخا وحسرتاه لقد هلك بعل لقد مات ابن داجون"٤٨، ان حسرات الاله ايل الصادقة على موت ولده تبدو صادقة جدا، والطريقة التي عبر عنها لموت بعل في سكب التراب على راسه لا تزال طريقة متبعة في الشرق الأدنى تعبيرا عن الحزن، واعتقد ان هذه الطريقة تظهر ان تمريغ الراس بالوحل تبدو كمحاوله من قبل اهل الميت ان يقلدوا ويندمجوا مع جثمان الميت لاسيما وهو يدفن في حفرة في الأرض فهي طريقة تعبيريه من اجل اللحاق بالميت او التواصل معه، الامر الاخر ان الاله ايل لم يكن يريد لبعل ان يموت كما يظهر من حزنه الشديد له وانما كان يريد ان يوقف تفريد الاله بعل ، وان لا يصبح الاله بعل هو الاله الرئيسي ولا تكون بقيه الإلهة مجرد اتباع له.

لكن اكثر ما استاء من ذلك وتصرف بحزن وغضب هي زوجته واخته الاله عناة ، اذ نراها هائجة مزمجره تبحث عن زوجها من اجل دفنه، لان الدفن في اعتقاد الاقوام الجزرية وكما هو حاليا اكراما لمن مات، فضلا عن التضحية له، لا سيما ان التضحية كانت بسعبين راسا من الجاموس والثيران، اذ ان رقم السبعين واشتقاقه من رقم السبعة الذي كان مقدسا لدن حضارات الشرق الأدنى القديم.

وتخرج عناة لصراخ ايل وتبحث عن جثته "فرفعته على كتفها وصعدت به الى اعالي جبل صفوان وهناك بكت عليه وقامت بدفنه واضعة اياه في مقبرة الهة الارض ثم ذبحت سبعين راسا من الجاموس تقدمة لبعل العلي وضحت بسبعين راسا من الثيران تقدمة لبعل العلي"٤٩.

الامر الاخر ان الاله عناة كانت عالمة ان مؤامرة قتل الاله بعل هي مدبرة من قبل الاله ايل وزوجته عشيرة في الخفاء، لذلك تصرخ قائلة لعشيرة فلتفرح وتجعل احد ابناءها في مكانة الاله بعل.

وتصرخ على الاله ايل قائلة "لتفرح عشيرة وابنها واقاربها لان عليان بعل قد قضى لان الامير سيد الارض قد هلك فصاح ايل الى عشيرة سيدة البحر اي عشيرة يا سيدة البحر اصغي الي ادفعي الي بأحد ابنائك فاجعل منه ملكا فأجابت عشيرة سيدة البحر قائلة :فلنجعل ملكا من يعرف كيف يحكم لنرفع الى العرش اثتر الملك المخيف فقد مات بعل وهلك سيد الارض"٥٠.

فيصعد اثتر الى اعالي جبل الشيخ ويجلس على عرش بعل ولكنه لم يستطيع ان يملاه فراسه لم يصل قمة الكرسي ولم تستند قدماه على مسند القدمين فاعترف بعجزه عن سد الفراغ الذي خلفه الاله الكبير ونزل راجعا من حيث اتى٥١ .

واعتقد ان أي اله لم يكن يستطيع ان يحل في منزلة بعل، لذلك بقيت مكانته وكرسيه عصيا على أي اله ان يملئه، وهو الغرض من التفريد، ولم يبقى الا ان يرجع الاله بعل باي طريقة كانت والا ماتتت الخصوبة وخلى بدلا عنها الموت والظلام والدمار.

فتبدا عناة وهي المقاتلة القوية ذات العصبية المفرطة في الطلب من موت ان يعيد الاله بعل، من اجل ان تعود الخصوبة والحياة

وتطلب عناة من موت ان يعيد بعل فيسخر منها ويعرض عنها فتصعد روح الانتقام فيها وتنقض عليه وتشطره بسيفها وتحرقه بنارها وتطحنه برحاها ثم تنثر رماد جثته على الحقل وتزرعه ويكون جسد موت بمثابة سماد الارض الذي يبث الحياة في الارض ويكون مقدمة لبعث بعل٥٢.

"كقلب البقرة على عجلها وكقلب الشاة على حملها كذلك هو قلب عناة على بعل لقد امسكت بالإله موت بالسيف تقطعه وبالمذراة تذريه وبالنار تشويه وبالطاحون تطحنه وفي الحقل تدفنه حتى لا تأكل لحمه الطيور ولا تنهش جسمه الجورا"٥٣.

وفي هذا المقطع من الأسطورة وكما لاحظنا سابقا عندما طلب بعل من عناة ان تساعده وتطلب من ابيه بناء القصر، فتظهر هنا شخصية الاله عناة التي لا يستطيع احد ان يقف امامها، فبعد طلبها من موت ان يعيد حبيبها الى الحياة فيرفض بسخرية، فترتعد عصبيتا

محيلتا هذا الاله الجبار الى رماد وتقطع اوصاله، وليس هذا فحسب بل تشوية وتطجنه وتدفنه في الأرض التي دفنت فيها عشيقها وزوجها، حتى لا تأكله الطيور او تنهشه حيوانات البرية ، وهي طريقة تستخدم لدى الفلاحين في تسميد الأرض اذ ان رماد الزرع هو سماد للأرض، كما يظهر انها بهذا الطقس ارادت ان تخصب الأرض من اجل ان يرجع الى الحياة اله الخصوبة بعل، وان تجازي الاله موت مثلما فعل مع زوجها وتذيقه طعم الموت الذي سقاه لشريك حياتها.

المسالة الأخرى والتي اجزم بها ان قدرة الاله عناة على معاقبة الاله موت رغم ان الاله بعل بقوته خشاه ولم يستطيع مواجهته، تعود بنا كرونولوجيا الى الأزمنة القديمة من حيث سيطرة الاله الام على الطبيعة، وان الاله في البداية كانت انثويه جبارة، وهي ترسبات قديمة في العقل الباطن لدى الشعوب.

وبعد هذه العملية أي قتل ودفن بقايا الاله موت ، تظهر الرؤى الخاصة بعوده الاله بعل الى الوجود لا سيما كحلم لدى كبير الاله السبق أي الاله بعل، وكما يظهر ان هذه الرؤيا كان نتيجة لأفاعيل الاله عناة مع الاله موت، وفي بشرى للإلهة والبشر يتنبأ الاله ايل بعوده الاله بعل من الموت.

"في حلم لطبان– المقصود به الاله ايل– اله الرحمة في رؤية خالق الكائنات الحية كانت السماوات تقطر زيتا والوديان تجري بالعسل فابتهج لطبان اله الرحمة واستقام على كرسيه واضعا قدميه على المسند ضاحكا من اعماق قلبه ورفع صوته دعوني الان استقر واستريح وتهدا ضلوعي لان عليان بعل حي لان سيد الارض حي"٥٤.

وهنا يعود الاله بعل الى الحياة بسبب الالهة عناة، التي تحتضنه وفي شوق شديد تمارس معه الجنس الالاف المرات من اجل زيادة الخصوبة وعودة الحياة الى مجاريها، لان الجنس والخوبة مرتبطان ببعضهما البعض.

وتعثر عناة عليه "في توق شديد امسكت بفرجها في توق شديد امسكت بقضيبه عليان بعل قام بفعل الحب الاف المرات للعذراء عناة"٥٥، فعظمة بعل لا تكمن في خلود بعل وانما في قهره ولأول مرة سلطان الموت وانبعاثه من جديد قوة شابة٥٦،وهذا دليل واضح ان انقضاء السنوات العجاف يكون بعدها سنوات الرخاء والخصوبة.

وبعد مرور سبع اعوام يظهر موت مزمجرا بعد التأمت جراحه فيطلب بعل بالمنازلة " من ايام الى شهور ومن شهور الى سنين ولكن في السنة السابعة نهض الاله موت معلنا نفسه لعليان بعل رفع صوته وصاح: اي بعل بسببك يا بعل رأيت العار بسببك رأيت البعثرة بالسيف بسببك رأيت الاحتراق بالنار بسببك الطحن في الرحى"٥٧

لكن هل يموت الاله موت؟ كلا بالتأكيد اذ يعود الى الحياة بعد العدد المقدس من السنين أي العدد سبعة، عاد ناقما شاعرا بالاسى لكرامته التي اريقت على يد عناة، ونراه هنا يطلب المنازلة من الاله بعل وليس من الاله عناة! بالرغم من ان عناة هي من قتلته ودفنته، واجزم ان لهذا سببين

١- السبب الأول انه خاف ان يواجه الاله عناه مرة أخرى لان مواجهته لها هي القتل كما حدث اول مرة لذلك تهيباها.

٢- السبب الثاني انه تعلل ان ما حدث له كان نتيجة قتلة الاله بعل لذلك طلب ان يقاتل الاله بعل هو وليس من الالهة عناة.

٣- السبب الثالث ان المواجهة الحقيقية هي بين طرفين الحياة والموت والخصوبة والعدم لذلك ركزت الأسطورة لاحقا على طبيعة هذه المواجهة بين الهين اصبحوا متساويين بالقوة احدهما يمثل الحياة والأخر يمثل الموت.

"انهما يشتبكان كأفراس النهر موت قوي وبعل قوي انهما يتناطحان كالجاموس موت قوي وبعل قوي انهما يعضان كالأفاعي موت قوي وبعل قوي انهما يركلان كالمتسابقين موت بأسفل وبعل بأسفل" وبعد ان يستنفد الالهان قوتيهما تشرق الشمس وتظهر الالهة (شبش) او شمس وتتدخل بينهما وتخبر موت ان ايل سنتزع عرشه ويكسر صولجانه اذا استمر في قتال بعل فيترك موت قتال بعل ويستعيد بعل عرشه وتعود سبع سنوات من الخير والخصوبة٥٨.

ومن هنا يمكن الاستنباط من هذه المواجهة ان النتيجة كما تبدو لأول وهلة هي التعادل او عدم الانتصار للطرفين، لكن الحقيقة خلاف ذلك اذ ان ظهور اله الشمس وهو اله العدل والقانون في الديانات الجزرية، واقناعه للإله موت ان يتخلى عن صراعه مه الاله بعل لأنه سوف يخسر النزال تبدو هي الحجة التي الزمت الاله موت ان يوقف الصراع وان يتنازل عن المواجهة من اجل البقاء على مكانته وعرشه، فضلا عن ذلك ان الاله شمس لم يطلب

من بعل فعل ذلك مما يؤكد ان الاله بعل سوف ينتصر في المحصلة، كما يظهر من ثنايا الاسطورة ان وقف الصراع كان مع بدايات ظهور الشمس أي ان المعركة قد حدثت في ومع ان الليل هو ملك الله موت لان الخصوبة والزراعة والحياة تكون مع اشعة الشمس لذلك كان الاله بعل مع ذلك قادرا على مواجهة الاله موت ومكافئا له الا ان شروق الشمس قد اعطى لبعل دافعا معنويا فهو اله الخصوبة والمطر والزراعة التي لا تكون الا مع اشعة الشمس، فكيف سيكون موقف موت مع ظهور الشمس؟ ولا ننسى العامل الاخر ان عناة كانت مع الاله بعل واي محاولة من موت لقتل بعل كان سيرجعه الى مواجهة عناة التي سحقته وذرته.

وأخيرا ان الأسطورة هي تعبير عن إرادة البشر لذلك كان انتصار بعل والخصوبة والحياة وان الحياة اقوى من الموت هو اكثر الأسباب التي اسبغت على الاسطورة وساعدت في انتصار الاله بعل وانهزام بعل، وان لم تظهر هذه الهزيمة بصورة رسمية ومباشرة في خفايا الأسطورة ولكن التحقيق بها يظهر الانتصار الهائل لبعل على الاله موت وفرضه لشروطه علية.

ولكن هل تحسم هذه المعركة نهائيا الخلاف بين القوتين؟ كلا فما دام هناك خصب وجفاف وحياة وموت فان القوتين ستبقيان في صراع الى ان تحل المملكة البعلية نهائيا على الارض فلا موت ولا مرض ولا قلق٥٩، وهي توكيد لما ادرجناه ان الخير والحياة سوف تنتصر في الاخر

لا سيما ان الكنعانيين توصلوا للحياة الزراعية ان دور الخصب كان يدوم سبع سنوات فربطوها بموت موت وانتصار بعل وبعدها يعود القتال بين الاثنين فينتصر موت فتنحبس الامطار وتجف الارض ويموت البشر والحيوان ويسود القحط وهكذا يتناوب الدوران لبعل وموت٦٠

كما ان اسطورة بعل وموت لا تهدف الى تفسير الدورة الزراعية السنوية بل الى تفسير تناوب دوري الخصب والجفاف الذي يميز مناخ المنطقة وهذا التناوب واضحا في ارض كنعان قديما لدرجة كان يمكن معها حصره في سبع سنوات خصيبة تليها فترة القحط تطول او تقصر٦١.

والنتيجة كانت انتصار بعل وسيادته التدريجية على مقدرات الكون بدلا من ايل اذ اصبحت مظاهر الكون كلها بعليه وتحولت المدن والاماكن كلها لصالح بعل بل ان الالهة

القديمة ارتد الامر الى الالهة القديمة واصبح شميم اله السماء هو بعل شميم وبعول المدن والاماكن مثل بعل بقاع (بعلبك) بعل الصفات بعل ادير او القدير وغيرها وهكذا اصبح كل شيء شكلا من اشكال بعل او ابنا له٦٢.

النتائج

توصلنا في دراستنا الى عدة نتائج هي:

١- الاساطير هي تعبير عن أفكار وعقائد ونفسية وثقافة الاقوام، وهي وسيلة من اجل تفسير الاحداث وإيجاد تعليلا لها في فكر الانسان القديم

٢- ان دخول اقوام جديدة الى البلاد ولقاحهم الفكري والثقافي مع السكان الاصليين لتلك البلاد، لا بد ان ينتج عنه فكر وثقافة جديدة تمزج بين معتقدات الشعبين

٣- لم تقبل الاله القديمة ان تتنازل عن مكانتها الى الاله الجديدة ، لذلك دار صراع حضاري وعسكري بين الماضي والحاضر لتك الاقوام، وكان لابد ان تتنصر إرادة الأقوى في هذا الصراع

٤- تفريد الاله بعل كان البدايات الأولى للقوام الجزرية (السامية) من اجل القضاء على التعدد الهائل للإلهة وحصر المناصب والصفات بيد اله رئيسي واحد سواء كان بالدبلوماسية او القوة المفرطة

٥- وفي حالة تطور فكري استطاعت الاقوام الجزرية ان تصل الى تفريد الاله بعل ، لكنها لم تصل الى منزلة الوحدانية، بان يكون هناك الها واحدا للعالم اجمع

٦- يظهر لنا من خلال دراسة هذه الاساطير ان الهة الام القديمة ، والتي هي كانت الأساس الولي للمجتمعات الزراعية الأولية، انها لا تزال تحتفظ بالقوة التي لا تظهر الا خلال الازمات والشدة

٧- كان العامل الزراعي حاضرا في الصراع الذي دار بين الاله، اذ نقل من خلال اراء القوم العراك من الأرض الى السماء، وبالذات في صراع يم اله المياه المالحة مع الاله يم اله العماء والمياه المالحة

٨- للخصوبة في الحضارات القديمة دور كبير التمسناه من خلال الممارسة الحميمة بين بعل وعناة الالاف المرات من اجل زيادة النسل ، او زيادة خصوبة الأرض الزراعية

٩- لمواسم الجفاف واحباس المطر لفترات قليله لموسم او موسمين ، فسر من قبل تلك الاقوام من خلال صراع اله المطر مع الحيوانات ومرضه المؤقت ا

١٠- اما السنوات السبع التي ينعدم فيها المطر ويقل المحصول فأرجعت الى موت الاله المؤقت لمدة سبع سنين

١١- للإله موت منزلة كبيره في فكر الانسان فهو المجهول، وهي الوفاة التي لابد ان تنهي حياة الناس، ولم تخلو حياة الإلهة من الموت سواء بالموت البدي وغياهب المجهول مثلما حدث مع الاله يم، او بالموت المقدس مثلما جرى مع الاله بعل

١٢- هذه الاساطير هي رؤى لمجتمع زراعي بحت، يعتمد في سقايته على الامطار لأنه يخشى من انحباس الامطار وليس الفيضان مثلما يحدث في العراق القديم الذي يخشى فيضان دجلة والفرات

١٣- رغم الإشارات الواردة في الأسطورة بتوقف المعركة بين الالهة بعل وموت ، لكن يبدو جليا ان المنتصر هو بعل بسبب النصيحة التي استمع لها الاه موت من بعل، فضلا عن إيقافه لتحديه لبعل بانه سوف ينتصر عليه

١٤- الاله عناة هي اقوى الإلهة ، من خلال تأثيرها على والدها ببناء البيت او من خلال قتلها للإله موت ودفنه ، الذي لم يستطيع الاله بعل ان يفعل ذلك، وهو يؤكد سيطرة الاله الام القديمة لدى المجتمعات الزراعية

١٥- يظهر لنا من ثنايا الأسطورة العادات الاجتماعية القديمة التي لا تزال مستمرة في مجتمعاتنا الى الوقت الحاضر، مثل دفن الميت والتضحية للمتوفى، والتمريغ في التراب او الطين

١٦- وأخيرا لا بد من القول ان مسالة التفريد هي نهضه دينية تطورية من اجل الوحدانية، وحصر سلطات جميع الاله بيد الها واحدا، وتدخل سلطات جميع الاله تحت يد الاله المفرد ويدخل اسمه على جميع أسماء الإلهة البقيه مثلما حدث مع الاله بعل.

الاحالات

١ التفريد هو الاقتصار على عبادة اله واحد وتفضيله على بقية الالهه، وهو لا يعني عدم وجود الهه أخرى ، وانما اله رئيسي وبقية الالهه تابعه له، (للمزيد انظر: حسن ، يحيى هاشم ، تأثر اليهودية بالأديان الوثنية ، (مصر : دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية ، ١٩٩٤م)، ص ١٢٨)؛ علوان، بسيم علي، الاله ايل دراسة

تأريخية في الميثولوجيا الكنعانية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الاداب، قسم التاريخ ، ٢٠١٩، ص ٦٢

٢ لوسيف الكسي، فلسفة الاسطورة، تر: منذر حلوم، (دمشق: دار الحوار للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م)، ص ٤١.

٣ المصدر نفسه، ص ٣٩

٤ موسكاتي، سبتينو: الحضارات السامية القديمة، تر: السيد يعقوب بكر،(بيروت: دارالراقي،١٩٨٦م)، ص.١٢٧

٥ سميث ، روبرتسن، محاضرات في ديانة الساميين، تر: عبد الوهاب علوب، (القاهرة، المجلس الاعلى للثقافة، ١٩٩٧)، ص ٣٨-٣٩

٦ موسكاتي ، المصدر السابق، ص ١٣١

٧ معدى ، الحسيني الحسيني ، الأساطير الكنعانية ، (القاهرة، كنوز للنشر والتوزيع، ٢٠١٢م) ص٧٣.

٨ المصدر نفسه، ص ١٧٦

٩ المصدر نفسه، ص ٩١

١٠ السواح ،فراس: مغامرة العقل الاولى دراسة في الاسطورة،ط٢،(بيروت : دار الكلمة للنشر،١٩٨٢م)، ص ٢٧٩.

١١ المصدر نفسه ، ص ٢٤٨

١٢ الشواف، قاسم، اخبار اوغاريتية وموسيقى من اوغاريت، (دمشق، دار الطلاس للدراسات والترجمة والنشر، ١٩٩٩م)، ص ٨٧.

١٣ السواح، المصدر السابق، ص ١٧٨

١٤ الحكيم، صالح: الحياة الدينية في المجتمع الاوغاريتي في الالف الثاني قبل الميلاد، (دمشق: منشورات المديرية العامة للأثار والمتاحف، ٢٠١٠)ص١٧٥.

١٥ المعدي، المصدر السابق، ص ١٧٩

١٦ الحكيم ،المصدر السابق، ص ١٧٦

١٧ المعدي، المصدر السابق، ص ١٨١-١٨٢

١٨ المصدر نفسه، ص ١٩٣

١٩ سامي سعيد، تاريخ فلسطين القديم، (بغداد، مطبعة علاء، ١٩٧٩م)، ص ٣٨٤

٢٠ عبودي، س، هنري، معجم الحضارات السامية، ط٢ (طرابلس ،جروس برس، ١٩٩١)، ص ٢٣١.

٢١ جبل صافون او الجبل الاقرع يقع شمال مدينة اوغاريت هو جبل بعل المقدس ومقامه في الاساطير الاوغاريتيه،(حداد ، حسني و مجاعص، سليم ،إناشيد البعل (قراءة جديدة للأساطير الأوغاريتية) ، (بيروت،أمواج للنشر والتوزيع،١٩٩٥)، ص ٣٠).

٢٢ الحكيم، المصدر السابق، ص ١٧٩

٢٣ المعدي، المصدر السابق، ص ١٨٣

٢٤ الحكيم، المصدر السابق، ص ١٧٩

٢٥ الشواف ، المصدر السابق، ص ٩٠

٢٦ الحكيم، المصدر السابق ،ص ١٨٠

٢٧ كوثر: اسمه يعني الحاذق والماهر وصف بكونه اله الحرفة في مملكة اوغاريت، (للمزيد انظر: الزغبي، عصام حسن، الأساطير الاوغارينية في الإلف الثاني قبل الميلاد، (دراسة وتحليل) أطروحة دكتوراه غير منشورة (جامعة دمشق: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، د. ت)، ص٤٦).

٢٨الحكيم ، المصدر السابق، ص ١٨١

٢٩ المصدر نفسه ، ص ١٨٢

٣٠ المعدي، المصدر السابق، ص ١٨٧

٣١ الحكيم، المصدر السابق، ص ١٨٢

٣٢ المعدي، المصدر السابق، ص ١٩٢

٣٣ المصدر نفسه، ص١٩٤

٣٤ الحكيم، المصدر السابق، ص ١٨٨

٣٥ كوبر.ام.ألن و كوجن. .ميشيل، الديانة الكنعانية ، بحث ضمن موسوعة تاريخ الأديان (مصر–سورية–بلاد الرافدين–العرب قبل الأسلام) ،تر: فاروق هاشم وفراس السواح،ط٢، (دمشق، منشورات دارعلاء الدين، ٢٠٠٧)، مج ٢،ص ٧٢

٣٦ الكتاب المقدس ،(مزمور ٧٤:١٤)

٣٧ المعدي، المصدر السابق ،ص ١٩٣

٣٨ السواح، المصدر السابق، ص ٢٧٥

٣٩ المصدر نفسه ، ص ٢٧٥

٤٠ المعدي ،المصدر السابق، ص ١٨٧؛ السواح ، مغامرة العقل الأولى، ص ٢٧٤.

٤١ عزيز، اساطير التوراة الكبرى، ص ٦٨–٦٩

٤٢ السواح، مغامرة العقل الاولى، ص ٢٧٤

٤٣ المصدر نفسه، ص ٢٧٥

٤٤ المصدر نفسه، ص ٢٧٦

٤٥ المعدي، المصدر السابق، ص ١٨٩

٤٦ المعدي، المصدر السابق، ص ١٨٨

٤٧ المعدي ، المصدر السابق، ص ١٨٨؛ الحكيم، المصدر السابق ص ١٨٤

٤٨ الزغبي، عصام حسن، الاساطير الاوغاريتية في الالف الثاني قبل الميلاد دراسة تحليلية، أطروحة دكتوراه غير منشور، جامعة دمشق، كلية الاداب والعلوم الإنسانية، بلا تاريخ، ص ٢٧؛ السواح، مغامرة العقل الأولى، ص ٢٧٦

٤٩ السواح، مغامرة العقل الأولى، ص ٢٧٦-٢٧٧؛ عزوز ، فاطمة الزهراء، الروابط الفكرية – الفينقية المعتقدات الدينية الاداب الفنون من القرن العاشر للميلاد الى القرن الأول للميلاد، جامعه الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٦، ص ٩٠.

٥٠ المعدي، المصدر السابق ،ص ١٨٩؛ السواح ، مغامرة العقل الاولى، ص ٢٧٧

٥١ السواح، مغامرة العقل الاولى، ص ٢٧٧

٥٢ المعدي، المصدر السابق، ص ١٩٠

٥٣ السواح، مغامرة العقل الاولى، ص ٢٧٧-٢٧٨

٥٤ المصدر نفسه، ص ٢٧٨

٥٥ السواح، مغامرة العقل الأولى، ص ٢٧٨

٥٦ عزيز، كارم محمود، اساطير التوراة الكبرى، (القاهرة ، دارة الصحوة للنشر والتوزيع، ١٩٩٨م)، ص ١٤٤

٥٧ المعدي، المصدر السابق، ص ١٩٠؛ السواح، مغامرة العقل الاولى، ص ٢٧٨-٢٧٩

٥٨ المعدي، المصدر السابق ص ١٩١

٥٩ السواح، مغامرة العقل الاولى ، ص ٢٧٩

٦٠ المعدي، الصدر السابق، ص ١٩١؛ الحكيم المصدر السابق، ص ١٨٦

٦١ السواح، مغامرة العقل الاولى، ص ٢٧٣

٦٢ الحكيم، المصدر السابق، ص ١٣٩-١٤٠